جامعة 8ماي1945قالمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

ينظم: يوم: 21-03-2023.

يوم تكويني لفائدة طلبة الدكتوراه **حول:** إشكالية المنهج الفلسفي

**من إعداد وتقديم: د/عبد الحليم بلواهم**

 **المنهج الجواني من مين دي بيران إلى عثمان أمين .**

وإنه لا يتهرب ولا يتحرج من نزعته الذاتية بل يعتبرها أساس منهجه الجواني الذاتي، الذي وحده يضمن سلامة الولوج إلى باطن المذاهب الفلسفية وبلوغ جوهرها لكشف ما في كنهها من أسرار وكنوز؛ وأما النظرة الموضوعية فقاصرة؛ إنها تركز على الجوانب الفكرية والمنطقية والظروف المادية المحيطة، والتي غالبا ما تفوت علينا فرصة التغلغل في باطن الأشياء وقد تحرمنا من معرفتها معرفة أصلية[[1]](#footnote-2).

فمن يقرأ لعثمان أمين لا يحتاج لوقت طويل حتى يدرك إعجابه بالفلاسفة والمفكرين الذين يكتب عنهم وتعاطفه الشديد معهم بل نشعر أنه يعيش زمانهم ويتقمص أدوارهم فلا نكاد نميز بين الذات والموضوع أعني الذات الدارسة والشخصية المدروسة فهو ديكارتي إذ يتكلم على ديكارت ورواقي عند تعرضه للرواقية وسينوي عندما ينتصـر لابن سيناء ورشدي عندما يعاني صعوبة الظروف التي أحاطت بفكر ابن رشد...

فالنزعة الإنسانية الذاتية التي تبناها عثمان أمين جعلته يبتعد عن المنهج التحليلي النقدي فاسحا المجال لمنهج ذاتي أشبه ما يكون بالتصوف الذي يتسع مجاله للجميع، وفيه يتعايش الكل في محبة وتناغم حيث لا تصارع ولا تدافع إذ لا يرى أي طائل من المنهج التحليلي النقدي حينما يقول: "وليس ذلك منهجنا ولسنا نرى لذلك نفعا، بل نحسب أن تاريخ فكر ما هو نفسه عبارة عن نقد ضمني للمذاهب السابقة عليه"[[2]](#footnote-3)

إذن فإن عثمان أمين يرى أنه لا بديل عن المنهج الذاتي في قراءة التراث الفلسفي، إذ لا يمكن أن يفي أي منهج آخر بالغرض، سيما إذ عرفنا غرض عثمان أمين من البحث في المذاهب والمتمثل في إبراز أثر صاحب المذهب وفضله على الفلاسفة الذين جاؤوا من بعده، لا الوقوف على أصول مذهب معين بإجراء مقارنات خارجية، فالمعرفة الدقيقة للمذاهب الفلسفية تكون عن طريق الاتصال بأصحابها اتصالا مباشرا، وأنه لا توجد وسيلة لفهمهم غير قراءة مؤلفاتهم وتأملها يعوننا وقلوبنا في تعاطف واستئناس[[3]](#footnote-4).

أما المنهج النقدي والتاريخي فكلاهما متضمن في المنهج الفردي يتجلى في تجاوز المذاهب الفلسفية لبعضها البعض.

ومنه لقد آثر عثمان أمين قراءة التراث من الداخل بخلق حوار حميمي مع الشخصيات التراثية التي يدرسها لتبوح له بما تعجز المناهج الأخرى عن استخراجه حيث يصرح قائلا: "وأحمد الله إذ هداني منذ أن هممت بالتأليف إلى إيثار الطريقة الجوانية" في المعرفة؛ أعني محاولة الاتصال المباشر بالمفكرين، أصغي إليهم وأسألهم وأستوضحهم بنفسي، وأستقي منهم أنباءهم وأسجل لهم مواقفهم دون حائل أو حاجة إلى عنعنة أو التجاء إلى واسطة.

ويتضح جليا أن عثمان أمين يكنّ احتراما كبيرا للتراث العربي الإسلامي من خلال دفاعه عن الفلسفة الإسلامية وتمجيد الفلاسفة المسلمين[[4]](#footnote-5).

والإقرار بأن تراثنا ليس مجرد عبادة نلبسها متى شئنا وإنما هو مخزون نفسي يعيش بداخلنا، موجود بداخلنا كجزء من شخصيتنا وهويتنا وإن حاولنا عبثا إنكاره: "إن فلاسفة العرب قريبون.

لقد حاول عثمان أمين من خلال جوانيته أن يبطل مزاعم بعض المستشرقين ومن سار في فلكهم في كون العرب دون التاريخ بالتركيز على دور العرب في النهضة الأوروبية لتقديم رؤية تاريخية مشخصة ومحددة داخل التاريخ العربي انطلق فيها من أن اعرب أنجزوا شيئا كبيرا؛ وقد برزت هذه الرؤية في محاولة عثمان أمين إيجاد ما في تراث العرب وتراث الغرب من تقارب وانسجام يدل على التفاعل بين الحضارات دائما في إطار النزعة الإنسانية التي تدافع عنها الجوانية بلا هوادة.

فهو ينظر إلى تاريخ الفلسفة بعيون المحب الذي يغلب العاطفة والوجدان على النظر العقلي والتحليل النقدي سواء تعلق الأمر بتراث الغرب أو بتراثنا العربي فهو لا يميز بينهم ولا يهتم للفروق القائمة بينهم، حتى لا يتوانى البعض في اعتباره مثالي لحد الإسراف وأنه تعامل مع التراث خارج تاريخه: "وأنا أعلم أن من الناس من عابوا علي إسرافي في حبي لديكارت، كما أعابوا علي من قبل حبي للرواقيين وللفارابي ولمحمد عبده وكانطوبرغسون ومحمد إقبال"[[5]](#footnote-6)

فالفلسفة في نظر عثمان أمين تجمع بين الوحدة والكثرة، فهو يرفض التمييز بين الفلاسفة الذين كتب عنهم ولا يهمه ترتيبهم ولا تصنيفهم ولا اختلافهم الحضاري ففي الأصل لا فرق بينهم، "إن الفلسفة الحقة هي الفلسفة الروحية، وأن تاريخ الفلسفة نفسه ينبئنا أن كبار الفلاسفة وإن اختلفوا، في تفاصيل العناصر التي تتألف منها مذاهبهم، كانوا جميعهم في صميم الأمر روحانيين، وأن الفكرة الروحية هي حقا الجوهر الأول والمبدأ الملهم لكل فلسفة"[[6]](#footnote-7)

وإن أعمال ومؤلفات عثمان أمين لتعكس بوضوح ما يذهب إليه من الإصرار على تعميم هذه النظرة التوحيدية.

**(1766/1824) Maine de Biran \* أثرمنديبيران**

هوأحدالشبابالملتفينحولكابانيسودستوديتراسي،الآخذينبأقوالهماوبمبادئكوندياك،وكانذامزاجقلق،وكانميالًاللاستبطانقديرًاعليهقدرةفائقة،وجدفينفسهعواطفغامضةمتناقضةمرتبطةمنغيرشكبحالاتعضويةمتأبيةعلىإرادته،فالتفتبقوةخاصةإلىالحساسيةالباطنة،وفطنإلىأنالمعانيوالإراداتالأخلاقيةصادرةبلاريبعنمنابعمغايرةللإدراكاتالحسيةالظاهرية،وحدثأنأعلنالمجمعالعلميسنة ١٧٩٩ موضوعًاللمسابقةهو: «ماتأثيرالعادةعلىقوةالتفكير؟»فدونرسالة «فيالعادة»فازتبالجائزة،وأعقبهابرسالةتكميلية،وقدبينأنفيناقوةفعليةإلىجانبالانفعالالذييعولعليهكوندياك،وأنتأثيرالعادةيختلففيالانفعالوفيالفعل؛فالانفعالاتجميعًاتضعفبالتدريجحتىتنمحيإذامااستطالتأوتكررت،كالإحساسالمتصلبرائحةبعينهافإنهينتهيإلىالعدم؛لأناتصالهوتكرارهيضعفقدرةالعضوالحاسعلىمزاولةالجهدأوالشعوربالمقاومة،فيحينأنالأفعالأوالإدراكاتتزدادوضوحًابازديادحركةالعضوالحاسوتضاؤلالانفعال،كالرؤيةفإنهاتتميزإذامااعتدلتأثيرالعضوووهجاللون،أوضعفالشعوربحركاتعضلاتالعينينبتأثيرالعادة،وعلىالعكسيغمضالإدراكحتىيصيرانفعالًاإذاضعفتحركةالعضوالحاسأوسكنت؛وإذنفالإدراكغيرالانفعال،ولكنالعادةتكسبالأعضاءالحاسةسهولةوسرعةوسدادًافيحركتهافتضعفالشعوربالقسطالفعليفيالإدراكحتىتزيله،وفيالذاكرةأيضًافعلوانفعال: فثمةفرقبينعودةالصورإلىالذهنعودةتلقائيةوبيناستعادتهابالإدارة،والعقلمنجهتهلايتكونحقًّاإلابحصولهعلىالألفاظوهيإشاراتإراديةوحركاتمقابلةللمعانيدالةعليها،ومنشأنالعادةأنتجعلالعقليربطبينهذهالحركاتوبينالمعانيالمقابلةلهابسرعةوسدادمتزايدين،وليسصحيحًاماقالهكوندياكمنأنقوةالتفكيرقائمةكلهافيالإشاراتأوالألفاظ،إذكيفكانيمكنخلقالإشاراتبدونفعلالفكر؟فكلتقدمفكريفهويتوقفعلىالجهدالباطنالذييوجدعاداتفعليةجديدة.

وفي1805أعلنالمجمعالعلميموضوعًاآخرللمسابقةهو: «كيفيمكنتحليلقوةالتفكيروماهيالقوىالأوليةالتييجبالاعترافبهالها؟»وضعهذاالسؤال «المعنويون»الذينكانوايؤلفونأكاديميةالعلوم،فدونمينديبيران «رسالةفيتحليلالفكر»،كانوايقصدونبالقوىالأوليةمظاهرالإحساسفيتحوله،وفهمهوأنالمطلوبالقيامبتحليليكشفعن «أبسطوأوكدمعرفةتصيربهاجميعالمعارفممكنة»فقال: إنالظاهرةالأوليةهيالجهدالعضلي،بهيعرفالأنانفسهمعرفةمباشرةأنهقوةتعلوعلىالجسموتحدثحركةعضليةأيتوتراتستطيلهبالإرادة،وليسيعرفالأنانفسهإلاباعتبارهعلةفاعليةفيمادةتقاومه،ونحننجدفيكلشعوربالأناهذاالاتحادالوثيقبينهذينالعنصرينالمتباينين: قوةلاماديةومقاومةمادية،بحيثينعدمالشعوربانعدامالمقاومة،إنالتجربةالباطنةلاتظهرناعلىجوهرالنفسندركهبالحدسمستقلًّاعنالفعلفيالجسم،كمااعتقدديكارت،ولكنهاتقفنافقطعلىقوةفاعلةشخصيةمتضامنةمعالطرفالذيتفعلفيه،أماتصورديكارتللعلاقةبينالأناوالحسعلىمثالالعلاقةالخارجيةبينصانعومصنوع،فإنهيؤدي — وقدأديبالفعل — إلىإنكارفاعليةالنفسفيالجسم،كمارأيناعندمالبرانشوليبنتزوغيرهما،وفيمعرفةالأنالنفسهفيالشعوربالجهدتوجدبالتضمنالمعانيالأولية: معانيالوجودوالجوهروالوحدةوالذاتية،ومعنىالقوةأوالعلةمدركًاإدراكًامباشرًالامستنتجًابالاستدلال،ومعنىالحريةمتجليًافيمعارضةالإرادةللنزوع،هذهالمعانييقولعنهاالفلاسفةإنهامجرداتغريزيةأومركبة،الحقيقةأنهاأصيلةمستمدةمنصميمالوجدان،وهيشروطالفكروأصولالعلم،ولكنهذالايعنيمنجانبمينديبيرانأنهبلغإلىمابعدالطبيعة،فإنمنهجهنفسي،ولميكنيقصدإلىمجاوزةعلمالنفس،ولمافكرفيالمسائلالميتافيزيقيةوالدينيةعالجهابالمنهجالنفسي،فكانمؤسسعلمالنفسالديني.

وهولميفكرفيالدينإلابعدتفكيرفيالأخلاق،كانقدأغفلماتلقاهمنالدينفيحداثته،واعتقدفيوقتماأنالرواقيةتتفقمعمذهبهلماتقولبهمنسيطرةالإرادةعلىنوازعالحس،ولكنالتجاربعلمتهأنهلايستطيعأنيجدفينفسهقوامحياتهالقلقةالمضطربة،ومنذذلكالحينأخذيطلباللهلحاجتهإلىنعمةربانيةيتغلببهاعلىالحساسية،وقدسجلهذهالتجربةفي «جريدتهالخاصة»ثمشرعيضعتأويلهاالفلسفيفيكتاباسماه «محاولاتفيعلمالإنسان»ولميتمه،إنهينتقدأدلةديكارتعلىوجودالله،فيقولإنالانتقالمنالنفسإلىاللهبموجبمبدأالعليةيثيرمسألةممتنعةالحلهي: ماعلاقةالعليةبينالخالقوالمخلوق؟إذأنهذهالعلاقةتختلفبالمرةعمَّانعلمهمنعلاقاتعلية،ثملايمكنالجزمبأنفكرةاللهفكرةمحصلة،فقدتكونللنفسقدرةخفيةعلىالاستكمالإلىغيرنهاية؛ومنثمَّةعلىإبداعفكرةموجودكاملدونأنيوجدمثلهذاالموجودليكونعلةالفكرةالتيتصوره،ثمإنالدليلالوجوديغلطمنحيثإنالوجود،ولاتفاوتفيهبينالجواهروالأعراض،مادامتجميعًامجردأفكار،فلايبقىالرجوعإلىالنفس،وحينئذٍنرىالنفس «تماسمنبعكلحقيقةوكلنور،وتحساللهواللانهايةفيإشراقاتالعبقريةالفجائية،وفيالوثباتالآتيةنحوالحقائقالعليا،وفيالبروقاللامعةخلالالسحبالمخيمةعلىعقولنا،وفيإلهاماتوعواطفمستعصيةعلىالتعبير»،فيكونللإنسانحيواتثلاثمقابلةللأنظمةالثلاثةعندپسكال: حياةحيوانيةخاصيتهاإحساسوتخيل،أيمجردانفعال،وحياةإنسانيةهيالإدراكمعالفعلأوالجهد،وحياةإلهيةهيانفعالوقبولمنعل،بيدأنمينديبيرانيسألنفسه: كيفالاستياقمنأنأصلهذهالتجربةإلهي؟إذاسلمنابأنهاليستمنفعلالنفسلكوننالانشعربأننانحدثها،فكيفالتدليلعلىأنهاليستمنفعلالجسم؟ولاسيماأنهلاحظاندفاعًامنهإلىأفكاروعواطفدينيةفيحالاتمعينةمنجسمهوأوقاتمعينةمنالسنة،كمالاحظوجهالشبهبينالمؤمنالمنفعلبالنعمةوبينالنائمالذييتلقىالإيحاءفيالنومالمغناطيسي،ولاحظأثرهيئةالجسمفيإثارةأفكاروعواطفوحركاتمعينة،وقدلازمهالشكفيهذهالمسألةطولحياتهمعميلمتزايدإلىالاعتقادبأنالتجربةالدينيةإلهية،وبأنهيستحيلأنننكرعلىالمؤمنمايحسمناطمئنانوسعادةوبهاء،ولميكنالدينعندهعقيدةمحدودةوكنيسةمعينة،وإنماكانمجردعاطفة،ولوأنهكانيدرسإنجيليوحناوكتابالتشبيهبالمسيحوكتبالأسقففنيلون،وهكذاسيكونالحالعندمعظمالذينيلجئونإلىالتجربةالدينيةبهذاالمعنى،وأشهرهمفيأيامناوليمجيمسوهنريبرجسون،وهذهروحانيةهزيلةتدعنامترددينفيالتجربةالدينيةأهيحقيقةأووهم،وكلماتصلإليهالكشفعنحاجاتوأمانللإنسانتسموبهفوقالحياةالأرضية،دونأنتدلهعلىحقيقةمعينةوغايةواضحة،وقدعرفمينديبيرانهذاالنقصفيمنهجه،فاعتنقالمسيحيةوماتعليهاميندىبيرانفيلسوففرنسيممتاز،أدركالباحثونقيمتهبعدوفاته،فاهتموابنشرمؤلفاته،واعتنوابدراسةفلسفته. وقدذاعتشهرتهعلىاثرذلك،فلقيمذهبهرواجاًكبيراًبينالأوساطالفلسفيةالتيأقبلتعلىدراسته.

والفكرةالأساسيةالتيتقومعليهامذهب (دىبيران) هيأنالحقيقةالجوهريةالأولىليست (الذات) باعتبارهامريدة،أي (الروح) باعتبارهافاعلة. فمايكونجوهرالإنسان،إنماهوالإرادة. والإرادةهيالتيتميزالإنسانعنالحيوان،لانالإنسانلايحيىويحسويشعرفحسببلهويفكرويريدويفعل. وإذاكانالإنسانيدركذاته،فانلايدركهذهالذاتفلاباعتبارأنهاعلة،وقوة،وإرادة،وجهد،وفعل. ومعنىهذاأننقطةالبدءفيكلمعرفةحقيقية،إنماهيتلكالواقعةالأوليةللشعورأوالوعيالإنساني،وهيالحسالباطنأوالتجربةالباطنة. وفيهذهالبدايةيتفقدىبيرانمعفختهاتفاقاًكبيرا،حتىلقدسمىكوزانفيلسوفناباسم: (فختهالفرنسي).

غيرأندىبيرانيستبدلبفكرةفختهعن (الفعل) فكرةأخرىجيدةهيفكرة (الجهد). فالواقعةالأوليةعندميندىبيرانليستهي (الإحساسالمجرد) الذييقولبهكوندياكوليستهي (الفكر) بالمعنىالذيقصدإليهديكارت،بلهي (المجهود) الذييقومعليهإدراكالذاتلنفسها.

ولماكانتالواقعةالأوليةللذاتهيإدراكهالنفسها،منحيثهيقوةحرة،تعملوتشرعفيالحركة،بإرادتهاالخاصة؛فانالصواب (فينظردىبيران) لاأننقول (كماقالديكارت): (أناأفكر،فأناإذنموجود) أوبعبارةأخرى: (أناأدركنفسيباعتباريحرة،فأناإذنعلةموجودةبالفعل). وفيموضعآخرنجدميندىبيرانيصححمقالديكارتفيقول: (إذاكانديكارتقدتوهمأنهاهتدىإلىالمبدأالأوللكلعلمحينقال: (أناأفكر،فأناإذنشيءموجود،أوجوهرمفكر)،فانفياستطاعتناأننقول - تصويباًلهذهالعبارة - وبالاستنادإلىشهادةالحسالباطنالتيلاترد: (أناأفعل،أناأريد،أوأناأتعقلالفعلفيذاتي،فأناإذنأدركنفسيكعلة،وإذنفأناموجود،أوأناكائنباعتباريعلةأوقوة).

هذهالحقيقةالأولىالتييؤكدهادىبيرانبكلقوة (حينيقولإنالذاتتدركنفسهاباعتبارأنهامجهود،وإرادة،وفعل) تدلناعلىأنفيلسوفناهذاكانالمؤسسالأعظمللمذهبالروحيفيالعصرالحديث؛وهوالمذهبالذيساعدعلىتقدمعلمالنفسونظريةالمعرفة،العلومالخلقيةعلىوجهالعموم،فينهايةالقرنالتاسععشر. والواقعأنناإذانظرنابيران،سواءمنالناحيةالذاتيةأومنالناحيةالموضوعية،فإننانجدأنهمنأعظمالمفكريناللذينقادوناإلىالناحيةالباطنةفيالإنسان. بلربماكانبيرانأعظمفلاسفيةالمذهبالروحيفيفرنسا. وهوبالفعلقدتوفرعلىالتوسعفيالمذهبالروحيالذيأقامهأستاذه (ليبنتس)،فأظهرناعلىالإنسان (فيحقيقةالأمر) ليسألعوبةفياثرالأقدار،أوعبداًذليلاًللضرورةالمستبدة،بلهوذاتمريدةفاعلة،لاتستمدنشاطهاوقدرتهاعلىالفعلمنالأشياءالخارجية،بلمنجهدهاالإراديونشاطهاالذاتي،أعنيمنالإرادة)

والنفسالإنسانية - فينظربيران - لاتتمثلباعتبارهاذاتاًفاعلة،إلابالممارسةلقوتهاالخاصة؛مادامتهذهالممارسةحرةغيرخاضعةلأيةضرورةأوقوةخارجية،أيمادامتغيرمتوقفةعلىقوىالطبيعةالخارجية.

وقدفرقبيرانبينالإنسانوالحيوانمنجهة،وبينالإنسانواللهمنجهةأخرى. غيرأنهلميقصدبهذهالتفرقةأنيقيمهواتغيرمعبورةبينالحيوانوالإنسان،أوبينالإنسانوالله. وإنماالذياهتمبهبيرانوقصدإليهفعلا،هوأنيقررتلكالحقيقةالهامةعنده،وهيأنالحياةالإنسانيةبمعنىالكلمةإنماهيتلكالتيتعلوعلىالمستوىالحيواني،ومايميزالحياةالحيوانية (فينظره) هوأنهاتخضعللانفعالاتالعمياء؛أعنيأنهالاتتميزبالحريةوالإرادةوالاختيار. وعلىالرغممنأنبيرانلاينزلبالحيوانإلىدرجة (الآلة)،كمافعلديكارت،فإنهيعتبرأنالحيوانيحيادونأنيعرفماهيحياته،ويشعردونأنيعرفانهيشعر،أيبعبارةأخرىليستلدية (ذات) أو (إنية).

أماالحياةالإنسانيةفإنهاتبدأحيثتنتهيالحياةالحيوانية،أيحيثيبدأالشعوربالذات،أوالتجربةالباطنةالتيتدركفيهاالذاتنفسهاعلىأنهاقوةفاعلةوإرادةحرة. وبعبارةأخرىفإنالإنسانيحياحياةإنسانيةخالصة،إلابقدرمايتحررمنالضرورةالعمياء،والأهواءالأنانية. والحيوانيةداخلةفيالحياةالإنسانية،نظراًلانالانفعالموجودفيالإنسانإلىجوارالفعل؛ولكنفياستطاعتهالإنسانأنيشاركفيحياةغيرإنسانية،هيحياةالروحالتيتعلوعلىالحياةالبشرية. وفيهذاالصدديتفقبيرانمعنيتشهالذييقول: إنالإنسانوترمشدودبينالحيوانوالإنسانالأعلى - ومايميزالحياةالإنسانيةبالنسبةإلىالحياةالحيوانيةوالحياةالروحية،هوالنشاطوالشخصيةوحريةالفعل؛أعنيالمجهودالذييبذلهالإنسانفيمقاومةالأهواء،وتنميةقواهالنفسية،منأجلالوصولإلىحياةإنسانيةبمعنىالكلمة. أمابالنسبةإلىماهودونالإنسانأوماهوفوقالإنسان،فليسثمةجهادأوصراع،لأنهليسثمةجهدأومقاومة -.

والحياةالإنسانيةهيفيأعلىصورهاتحررمننيرالأهواءوالانفعالات،وتجاوزلمرتبةالحياةالحيوانية،وارتفاعإلىمرتبةالحياةالروحية.

* *بليز باسكال : Blaise Pascal‏ 1623 / 1662،فيزيائيورياضيوفيلسوففرنسياشتهربتجاربهعلىالسوائلفيمجالالفيزياء،وبأعمالهالخاصةبنظريةالاحتمالاتفيالرياضياتهومناخترعالآلةالحاسبة. استطاعباسكالأنيسهمفيإيجادأسلوبجديدفيالنثرالفرنسيبمجموعتهالرسائلالريفية.*

رأيناهيؤثرالتجربةعلىالاستدلال،فيؤمنبالخلاءالبادئللحواسوينكرعلىأرسطووديكارتاستدلالهماعلىامتناعه؛فهوإذنلايرىأنتحلالمسائلالطبيعيةباستنباطنتائجمنمبادئ،بلبالتجربة،فلايعتقد — خلافًالديكارت — بمنهجواحديطبقعلىجميعالموضوعات،بليذهبإلىأنلكلموضوعمنهجًاينبغيابتكاره؛وذلكلأنمقتنعبتنوعالطبيعةإلىجانبخضوعهالقوانينعامة،فيسلمبوجوب «القولبالإجمالأنالاشياءتعملبالشكلوالحركةلأنهذاحق،أماتعيينالأشكالوالحركات،وتركيبآلةالعالم،فمضحكلأنهعديمالجدوىوموضعريبوعسير» (خاطرة ٧٩

وحينيقولإنالمبادئحق،يعنيأننانحسهاونسلمها،لاأننانتعقلهاونبرهنعليها،إنهيرىأنهكمالالطريقةالهندسيةيقومبحدكلشيءوالبرهنةعلىكلشيء،وأنهذاعمللاينتهي،فنقفعندأولياتلاتحدولاتبرهن،ولكنهذهالأولياتليستطبيعية،فإنالطبيعةتتغيرباستمرار، «وليسهناكمنمبدأ،مهمايكنطبيعيًّامألوفًامنذالطفولة،إلاويمكنالقولإنهأثرخاطئللتعليمأوللحواس»،و«مامبادئناالطبيعيةإلامبادئمألوفةبالعادةتختلفباختلافها،العادةطبيعةثانيةتمحوالأولى … وإنيلأخشىألاتكونالطبيعةنفسهاإلاعادةأولى»،هنانرىقارئمونتنيقدتأثربهوأذعنلهغيرأنهعلىكلحاليضيفالمبادئوالمعارفالتيمنقبيلهاإلى «القلب»: «القلبيحسأنللمكانأبعادًاثلاثة،وأنالأعدادلامتناهية،وسائرالمبادئالهندسية،والقلبيحسالله،فيتغلبعلىالشك» (خاطرة ٢٧٨).

أماالعقلفهوقوةاستدلاليةتستنبطالنتائجمنالمقدماتالآتيةمنالقلبوالإرادة؛لذاكانالعقلقابلًالأنيميلإلىكلجانب،ونحننرىالناسكثيرًامالايؤمنونإلابمايحبون،فالقلبوالعقلمتباينان: «عبثًايحاولالعقلزعزعةالمبادئبالاستدلال،فإنهاخارجةعندائرتهولاشأنلهفيها،منالمضحكأنيطلبالعقلإلىالقلبالأدلةعلىمبادئه،كماأنمنالمضحكأنيطلبالقلبإلىالعقلالشعوربالقضاياالتييستنبطها» (خاطرة ٢٨٢).

وهكذايظنبسكالأنهيخرجمنالشك،ولكننانستطيعدائمًاأننقولإنشعورالقلبوليدالعادة،والعادةمتغيرة،فنعودإلىالشك،بيدأنبسكالسيحاولالتفريقبينمقدماتالقلبالسليمومقدماتالقلبالفاسد،كماسنرى.

يقابلالتمييزبينالعقلوالقلبتمييزمشهورعنبسكالبينالروحالهندسيوروحالدقة،الروحالهندسييتناولالمبادئمحصورةمحدودةيدركهاكلعقلمتنبهويحساستخدامهابمجردتطبيققواعدالاستدلال،أماروحالدقةفمبادئهتكادلاتُحصىولاتوضعفيصيغمحدودة،فإنهاموضوعشعورأكثرمنهاموضوععلم،وتتطلببصبرةثاقبة،ولانوفقإلىإشعارالغيربهاإلابعدعناءشديد،ويستخدمروحالدقةالاستدلال،ولكنهاستدلالإضماريطبيعيلاصناعي،وأكثرمايكونفيالأمورالإنسانيةوالتجاربالطبيعية، «ويندرأنيكونالهندسيوندقيقين،وأنيكونالدقيقونهندسيين».

1. **عثمانأمين: ديكارتالطبعةالخامسة،مكتبةالأنجلومصرية،القاهرة، 1965،صص 7-8.1**

**المرجعنفسه،ص 10.2** [↑](#footnote-ref-2)
2. **عثمان أمين: محمد عبده رائد الفكر المصري، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص 12.** [↑](#footnote-ref-3)
3. **عثمان أمين: ديكارت، ط5، ص 22.** [↑](#footnote-ref-4)
4. **عثمان أمين: شخصيات ومذاهب فلسفية ، دار المعارف القاهرة، ص 09.** [↑](#footnote-ref-5)
5. **عثمان أمين: المرجع السابق، ص 14-15.** [↑](#footnote-ref-6)
6. **المرجع نفسه، ص 158.** [↑](#footnote-ref-7)